دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

تراثيات

مجلة علمية محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

العدد الثالث والعشرون

يوليو ٢٠٢٣م

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
أ.د. أسامة طلعت
رئيس مجلس الإدارة

تراثيات/مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث بدار الكتب .ـ س ١، ع ١ (يناير ٢٠٠٣).

.ـ القاهرة:

مطبعة دار الكتب ، ٢٠٠٣ – .

مج ؛ ٢٩سم.

نصف سنوية.

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لايجوز استنساخ أى جزء من هذا العمل بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣/١٢٢٠٧

تراثيات

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

في هذا العدد

افتتاحية العدد	رئيس التحرير	٥

بحوث ودراسات :

– الأسس اللغوية والرياضية لعلم تركيب وحل الشفرة عند العرب	أ. د. أحمد عزب	٩
– بَيْنَ الأُدَباءِ والنُّحَاةِ إِشْكَالِيَّةُ (الْجَفَنَاتِ والأَسْيَافِ) في بَيْتِ حَسَّانَ رضي الله عنه	أ. د. أحمد عيد عبد الفتاح حسن	٥١
– التراث العلمي لمكة المكرمة في عصر الراشدين	أ. د. صلاح الدين علي عاشور	٧٥
– الْكَوَارِثُ الطَّبِيعِيَّةُ والْبَشَرِيَّةُ، وأَثَرهَما فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَة خِلالَ الْقُرُونِ الأَرْبَعَةِ الأُولَى لِلْهِجْرَةِ	د. محمود محمد خلف – أ. هادي محمد نمشان الحارثي	١٠٧
– بنو الأحمر والمماليك (دراسة تاريخية في العلاقات)	د. نورا عبدالعظيم	١٤١
– البيمارستانات في القاهرة	د. منى علي أبو العزم	١٦٥
– علم التعمية من صور سَبْق الحضارة الإسلامية	أ. إكرامي عشري	١٨٥

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. أسامة طلعت

رئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية
د. أشرف قادوس

رئيس التحرير
أ. د. إبراهيم الهدهد

سكرتير التحرير
د. نورا عبدالعظيم

مستشارو التحرير

إبراهيم شبوح
(تونس)

أحمد شوقى بنبين
(المغرب)

أسامه ناصر النقشبندى
(العراق)

رضوان السيد
(لبنان)

فيصل الحفيان
(سوريا)

يحيى محمود بن جنيد
(السعودية)

دار الكتب والوثائق القومية

المراسلات
مركز تحقيق التراث – دار الكتب والوثائق القومية
كورنيش النيل– رملة بولاق – القاهرة
ت : ٥٧٥١٠٨٦ – فاكس : ٥٧٨٩٦٧٨
E-mail:scenlers@darelkotob.org

مدير المطبعة
محمود يونس سيد

افتتاحية العدد

الحمد لله على نعمة التوفيق، وبعد

تتحف مجلة تراثيات قراءها في هذا العدد بلوحة معرفية تراثية في هذا العدد:

البحث الأول :الأسس اللغوية والرياضية لعلم تركيب الشفرة وحلّها عند العرب ،وهذا البحث يبين سبق العرب لهذا الموضوع من خلال التنقيب في التراث العلمي واللغوي ، والبحث الثاني :يبحر في التراث بين الأدباء والنحاة لبيان معني الجفنات والأسياف وأسس البناء الصرفي للجمع ودلالاته عند النحاة والأدباء ، وهو مبني على الإبداع النقدي للخنساء في العصر الجاهلي ، والبحث الثالث: يكشف التراث العلمي لمكة المكرمة في عصر الخلفاء الراشدين وقد دبجّه مؤرخ مجيد والبحث الرابع : يعود بنا إلى القرون الأربعة الأولى كاشفًا أثر الكوارث الطبيعية والبشرية وأثرها في مكة المكرمة ،والبحث الخامس : يرصد العلاقات التاريخية بين بني الأحمر والمماليك ، والبحث السادس: نادر لطيف يرصد البيمارستانات في القاهرة ، أما البحث السادس :فهو نادر التوجه دقيق إذ يبين لنا سبق الحضارات الإسلامية لعلم التعمية ، وأسرة التحرير تتمني لقرائها وقتًا نافعًا ممتعًا معها.

رئيس التحرير

أ.د/إبراهيم الهدهد

بحوث ودراسات

التراث العلمي لمكة المكرمة في عصر الراشدين

أ. د. صلاح الدين علي عاشور(*)

تراث أية أمة هو هويتها، وذاكرتها الحية، ومخزون فكرها، ولا يمكن لأية أمة أن تقف على أرض راسخة دون أن تعرف ذاتها وتراثها.

وثمة مصادر مهمة في التاريخ لا يمكن إغفالها؛ ألا وهى (الوثائق المنقوشة، أو المكتوبة)، وتدخل في عداد هذه الوثائق الرسائل المتبادلة بين الحكام، والتي يحلو للبعض أن يسميها (كتب الإنشاء)، ويدخل في هذه الوثائق أيضًا: القصائد الشعرية والمعلقات التي ينشدها الشعراء، وتتضمن إشارة إلى حدث معين، ويدخل فيها بغير شك العملات والآثار التي يخلّفها الملوك والأمراء، وما على ذلك مما كان يغُضُّ الطرفَ عنه كثير من كتاب التاريخ حتى وقت قريب عندما بدأ الاهتمام بهذه الوثائق، فكشفت لنا في كثير من المواقف عن تعديلات، وتصحيحات لمعلومات بدت من قبل مقبولة تاريخيًا.

وتعتبر أمتنا الإسلامية من أغنى الأمم إنتاجًا وغزارة في الأفكار والتنوع، وقد خلف لنا أسلافنا تراثًا ضخمًا، وكنزًا ثمينًا من العلوم العربية والإسلامية، جديرًا بالجلال والإكبار، ولكن كثيرًا منه لا يزال مخبوءًا بين جدران دور الكتب، تحيط به أغشية من خيوط العنكبوت، وتغلفه طبقة من الأتربة.

كما أن ما ضاع من تراثنا لا يمكن بحال أن يخضع لتقدير، فمن يستطيع أن يقدّر عدد المجلدات التي صنعت الجسر، بل السد الذي عبرت عليه خيول هولاكو وجنوده بين شاطئي دجلة، ومن الذي يستطيع أن يحصي ما حرقه الصليبيون في حملاتهم التي جاءت في موجات متتالية، وحسبنا أن نذكر أن بعض المؤرخين قدّر ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد.

ويحدثنا التاريخ أن أحد الأطباء رفض دعوة سلطان (بخارى) للإقامة في بلاطه؛ لأنه يحتاج إلى أربعمائة بعير لنقل مكتبته.

وبما أن كمية التراث المفقود كبيرة جدًا بحيث لا تحصى، فكان من الواجب أن يعطى حقه من البحث عن طريق إيجاده، أو إيجاد بعضه؛ خدمة للعلم وللتراث.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي، وعميد كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر.

ومن هنا كان اختياري لهذا العنوان الذي رأيت أنه جدير بالبحث والدراسة في ضوء المعطيات التاريخية الحديثة، وهو: (**التراث العلمي لمكة المكرمة في عصر الراشدين**).

فقد كان من الطبيعي أن تشهد بلاد الحجاز وبخاصة مكة المكرمة حركة علمية لا نظير لها في أي مصر آخر من الأمصار الإسلامية آنذاك، ومرجع ذلك أن مكة كانت – وما تزال – نقطة التقاء ومركزًا لتجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، وبخاصة في موسم الحج، وهي بذلك من أقوى مراكز نشر الثقافة والعلم بين تلك الأقطار(١)، كما أنها شهدت ميلاد رسول الله ﷺ وفيها كانت نشأته، وبها كانت الأحداث الأولى من دعوة قريش إلى الإسلام ومناهضتهم للدعوة، وبها أيضًا كان التشريع المكي، وهو لا يُفهم حقًا حتى يفهم ما كان يحيط به من ظروف مكية، وبعض هذا التشريع الإسلامي إنما هو إقرار لما كان يحدث في مكة قبيل الإسلام(٢).

والحق أن الحركة العلمية والفكرية عند العرب، قد بدأت بالفعل بعد تدوين القرآن والحديث، وهذه الحركة وإن بدأت فقط بالتدوين، إلا أنها أخذت شكلًا آخر فيما بعد، حيث بدأت حركة التنظيم والتنسيق والتبويب، فحتى ذلك الوقت ما كنا نسمع عن علم مستقل اسمه التفسير، ولا عن علم مستقل اسمه الفقه، حتى العلماء أنفسهم كانوا يتكلمون في مسائل شتى، فابن عباس يتكلم في مجلس واحد من مسائل متنوعة في فروع مختلفة متعددة، وكذلك فعل غيره من العلماء، ونجد الثقافة كتلة واحدة ممتزجة من تفسير وحديث وفقه، وما يلزمها من لغة وشعر، كلها تلقى في درس واحد، والذين يجمعون الحديث لا يبوبونه ولا يضعون الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد تحت باب واحد، وهكذا(٣).

يدل على ذلك ما جاء في بعض الروايات(٤) من أن عبد الله بن عباس كان له مجلس بفناء الكعبة يفسر فيه القرآن(٥).

ومهما يكن من شيء فقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مكة المكرمة في مواسم الحج، منها حرص أصحاب رسول الله ﷺ على العمل بوصيته في نشر العلم .

(١) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج، ص١١.
(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٧١ – ١٧٣.
(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ١٠.
(٤) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص١٧٤.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ٨/ ٢٨١ – ٢٩٢.

فمثلاً كان عبد الله بن حذافة السهمي يسير على راحلته في أيام التشريق بمنى، ينادي أهل منى ألا يصومن هذه الأيام أحد، فإنها أيام أكل وشرب[١].

كما كان عبد الله بن الزبير يجلس على المنبر أيام ذي الحجة فيما بين الظهر والعصر يعلم الناس مناسك الحج[٢].

يضاف إلى ذلك أن كثيرًا من أمراء الحج كانوا من حملة العلم البارزين، مما جعل العديد من طلاب العلم يحرصون على اتباعهم والاستفادة منهم[٣]. وكان بعض هؤلاء الطلاب يعرضون على أمير الحج ما يلتبس عليهم من حال العلماء في بلادهم[٤].

فلما أتى قيس بن مروان إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو بعرفة، فقال له: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلًا يملي المصاحف عن ظهر قلب، فغضب عمر، وانتفخ حتى كاد أن يملأ ما بين شعبتي الرجل، ثم قال: ومن هو ويحك ؟ فقال: ابن مسعود، فما زال يطفئ غضبه ويُسرّي عنه حتى عاد إلى حاله، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم فيمن بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك : كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة كذا في الأمر من أمور المسلمين، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته، فلما كدنا نعرفه قال ﷺ :(من سره أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد - عبد الله بن مسعود -) قال: ثم جلس يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: (سل تعطه)، فقلت: والله لأغُدَوَنَّ إليه فلأبشره، قال: فغدوت فوجدت أبا بكر قد سبقني[٥].

وكذلك كان بعض الصحابة إذا ما جاء موسم الحج يجلسون ليفيدوا الناس، فيذكر نافع - مولى عبد الله بن عمر- أن ابن عمر، وابن عباس كانا يجلسان للناس عند قدوم الحجيج يحدثون ويفتون[٦].

وكان سعيد بن جبير يجمع المسائل التي تكون موضع خلاف بين علماء الكوفة

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ٣٤٦.
(٢) الإمام البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ٣٣٩.
(٣) الإمام مسلم: صحيح مسلم، (الحديث ٣٤) باب الطلاق، ٢/ ٥٤٩.
(٤) حجازي حسن طراوة: دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي: الراشدين، والأمويين، ص ١٥.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٥ - ٤٧٦.
(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣١/ ١٦٧.

ويعرضها على ابن عمر عندما كان يلقاه بمكة في موسم الحج[١].

والواقع أن محبة الناس للصحابة، والرغبة في الأخذ عنهم، والتلقي عنهم، والاستفادة من غزارة علمهم، وملازمتهم، كان من بين العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مكة المكرمة في مواسم الحج. فقد ذكر ابن سعد[٢] أن سليمان بن الربيع حج في رهط من قراء ونساك البصرة، فقالوا: لو نظرنا رجلًا من أصحاب رسول الله فتحدثنا إليه، فدلنا على عبد الله بن عمرو بن العاص، فأخذوا يبحثون عنه حتى وجدوه جالسًا في البيت الحرام، فقالوا له: أنت عبد الله بن عمرو، أنت صاحب رسول الله ﷺ، ورجل من قريش، وقد قرأت الكتاب الأول، وليس أحد نأخذ عنه أحب إلينا منك، فحدثنا بحديث لعل الله ينفعنا به، فحدثهم عبد الله بن عمرو بعد أن سألهم عن بلادهم، وعرف حالهم[٣].

ومن بين العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مكة المكرمة حرص الطلاب على التلقي عن مشاهير العلماء، سواء من أهل الحرمين، وبخاصة الذين يشهدون موسم الحج، وحث كل منهما الآخر على الأخذ عن هؤلاء المشاهير، وفي ذلك يروى[٤] أن الليث بن سعد حج ومعه ابن لهيعة، فرأى نافع مولى ابن عمر بمكة، فأقعده في دكان علاف يسمع منه، فمر بهم ابن لهيعة، فقال له: من هذا الذي رأيته معك ؟ فقال له: مولى لنا، فلما انتهى موسم الحج، وعاد الليث إلى مصر، وجلس في حلقة العلم قال: حدثني نافع، فوثب عليه ابن لهيعة، فقال له: يا سبحان الله، فقال له : ألم تر الأسود معي في دكان العلاف بمكة ؟ قال: نعم، فقال له: ذلك نافع، فحج ابن لهيعة في العام التالي، فوجد نافع مولى ابن عمر قد توفي[٥] .

وهكذا كان حرص العلماء على الاستفادة من نوابغ التابعين، وأنهم كانوا يفخرون بمن تلقوا عنهم العلم من مشاهير كبار العلماء، وأيضًا كان العلماء ينقلون إلى تلاميذهم ما استفادوه من خلال موسم الحج، ولم يقتصروا في تلقيهم العلم خلال هذا الموسم على حلقات العلم في المسجد الحرام، بل كانوا يتلقونه أينما وجدت حلقاته في مختلف أنحاء مكة، وكانوا يحثون بعضهم بعضًا على الأخذ عن المشاهير من العلماء، لا سيما من الذين

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٥٦ - ٢٦٠.
(٢) الطبقات الكبرى ٤/ ٢٦٧.
(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٢٣٤.
(٤) السيوطي: حسن المحاضر ١/ ٢٦٠.
(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٥٠/ ٣٥٢.

يحضرون إلى مكة في موسم الحج[١].

وآية ذلك ما ذكره لنا المؤرخون[٢] عن الإمام الأوزاعي قوله: «حججت فلقيت عبدة ابن أبي لبابة بمنى، فقال لي: هل لقيت الحكم؟ قلت: لا، قال: فاذهب فالقه، فما بين لابتيها أفقه منه، فلقيه الأوزاعي، وعقب على اللقاء بقوله: «فإذا برجل حسن السمت، مقنع»[٣]، فقال مجاهد بن جبر: ما كنت أعرف فضل الحكم حتى اجتمع علماء الناس في مسجد (منى)، فنظرت إليهم فإذا هم عيال عليه[٤] .

ولا ننسى كذلك كثرة حلقات العلم كان لها الدور الأكبر في انتعاش الحركة العلمية في مكة المكرمة في العصر الراشدي.

فقد كان لابن عباس مجلس في المسجد الحرام[٥]، كما كان لعمرو بن دينار مجلس في هذا المسجد أيضًا[٦]، أما الحكم بن عيينة فكان له مجلس يعلم الناس فيه بـ (منى)[٧]، في حين كان ابن شهاب الزهري يجلس عند سارية على باب الصفا[٨]، كما كان لصفوان بن سليم مجلس في مسجد الخيف بمنى[٩]، هذا بالإضافة إلى الحلقات التي كان العلماء يعقدونها في منازلهم أثناء موسم الحج، ومنهم عطاء بن أبي رباح[١٠] .

الكتابات التاريخية الأولى في مكة المكرمة، وأثرها في إثراء الحركة العلمية

اللافت للنظر في العهد النبوي أنه كان عهدًا ذا نتائج مهمة في تاريخ العالم السياسي، والديني، والاقتصادي، والاجتماعي.

والحقيقة أننا من الصعب علينا أن نفهم الحالة السياسية لأي عصر من العصور إلا بمراجعة الوثائق الرسمية التي تتعلق بذلك العصر، ولذلك كان من الضروري النظر في وثائق عصر صدر الإسلام، وبخاصة العهد النبوي، حتى يتسنى لنا أن نفهمه فهمًا صحيحًا.

---

(١) حجازي حسن طراوة: دور الحج في إثراء الحركة العلمية، ص٣٥ .
(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٥/ ١١٧، ٢٢٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ١٢٧.
(٣) الفسوي: كتاب المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٩٤ .
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ٩/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٩ .
(٥) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص ١٧٤، وعبد العزيز الهلالي: الحركة العلمية ١/ ٢٧ .
(٦) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ١٩ .
(٧) الفسوي: المصدر السابق ٢/ ٤٩٤، وابن عساكر : تاريخ دمشق، ص ٣٥/ ١٦٠ .
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٤٦ .
(٩) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ١٩ .
(١٠) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص ٤١٧.

ولما كان العرب قبل الإسلام أمة أمية، بعيدين كل البعد عن الحضارة، قليلي المعرفة بالقراءة والكتابة وأدواتها، ولم يتفق لهم أن اجتمعوا تحت لواء حكومة ذات نظم وثقافة معروفة، وتجربة سياسية مقننة؛ لذلك كانوا مفتقدين للحس التاريخي، فلم تكن لهم نظم مكتوبة، ولا تاريخ مدون[١].

ويعد العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين عهدًا ذا نتائج هامة في تاريخ العالم الإسلامي؛ لذلك كان من الضروري جمع الوثائق المتعلقة بهذا العصر حتى يتسنى فهمه فهمًا صحيحًا، وإذا كانت أصول أكثر الوثائق قد ضاعت، فقد حفظ رواة الحديث والمؤرخون جملة صالحة منها في بطون كتبهم. ومن مختارات وثائق عصر النبوة الوثيقة التي كتبتها قريش لمقاطعة بني هاشم ما داموا ينصرون محمداﷺ، وعلقوا هذه الوثيقة في جوف الكعبة، واستمر بقاؤها لمدة ثلاث سنوات[٢].

وليس معني ذلك أننا ننكر أنهم حرروا أحيانًا بعض العهود والمواثيق والمعاهدات بينهم وبين القبائل الأخرى المجاورة (كحلف الفضول، ووثيقة المقاطعة التي علقت على جدار الكعبة)، إلا أن ذلك كان على نطاق ضيق، وبشكل محدود غير منظم.

وعندما ظهر الإسلام لم يكن في قريش - وهي أكثر القبائل تمدنًا - سوي سبعة عشر رجلاً يكتبون، وذلك في أكثر المجتمعات العربية أهمية قبل الإسلام، ألا وهو المجتمع المكي[٣].

ولما جاء الإسلام واجتمعت القوي المنتشرة في جزيرة العرب على قلب رجل واحد، وتشكلت دولة ذات نظام وإدارات منضبطة، وقامت بينها وبين القوي المجاورة ـ كفارس وبيزنطة ـ علاقات سياسية، فلم يمض على تلك الدولة عشر سنوات إلا وقد تسلطت على بلاد العجم، والعراق ومصر والشام، وغيرها، فكانت هذه الحالة تدعو إلى كتابة كتب تعبر عن تلك العلاقات السياسية، والمتمثلة في الوثائق التي نتحدث عنها.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ٣/ ٣٦، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ١/ ٢٢.

(٢) الكلاعي الأندلسي: الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ١/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٣) جاء الإسلام وليس في قريش (وهي أكثر القبائل تحضرا آنذاك) غير سبعة عشر كاتبًا، وهم على وجه الدقة : عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبيدة، وطلحة بن عبيد الله، أبو سفيان بن حرب، ويزيد ومعاوية أبناه، وأبو حذيفة بن عتبة، وحاطب بن عمرو، وأبو سلمة المخزومي، وأبان ابن سعيد بن العاص، وأخوه خالد، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وحويطب بن عبد العزى ، وجهيم ابن الصلت. ومن النساء الكاتبات : حفصة بنت عمر، وأم كلثوم، وأما عائشة وأم سلمة فكانتا يحفظان المصحف ولا يكتبان. مصطفي الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب [قسم الأدب]، ص١٥ .

وليس معني ذلك أن الرواية الشفهية هي المسئولة عن هذا التأخير في فن الكتابة، فإن أول آية من آيات القرآن الكريم أمرنا الله تعالى فيها بالقراءة والكتابة، كما أن المسلمين أمروا أن يكتبوا جميع الحقوق والمواثيق؛ ويشهدوا عليها، قال تعالى: ﴿ يأيها الذين أمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمي فاكتبوه﴾[١]، وذلك أيضًا أقوم للشهادة وأدنى أن لا نرتاب، ومن ثم كتب النبي إلى الملوك والأمراء خارج وداخل شبه الجزيرة العربية في العام السادس للهجرة يدعوهم إلى الإسلام[٢].

ويذكر أن الرسول ﷺ كان عنده كُتاب يكتبون له الرسائل الصادرة عنه، ويقرؤون عليه الرسائل الواردة إليه، فيذكر لنا ابن عبد البر: «روى ابن القاسم عن مالك، قال بلغني أنه ورد على رسول الله كتاب: فقال من يجيب عني؟ فقال عبدا لله بن الأرقم : أنا، فأجاب عنه، أتى به فأعجبه وأنفذه. وذكر موسي بن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم فكان يجيب عنه الملوك. وقد بلغ أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويأمره أن يطويه ويختمه، وما يقرأه لأمانته عنده[٣].

وذكر ابن سعد في طبقاته[٤]: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى «جيفر وعبد ابني الجلندي، فاتصل عمرو بعبد بن الجلندي الذي أوصل عمرًا إلى أخيه جيفر، قال عمرو بن العاص: «فدخلت عليه، فدفعت إليه الكتاب مختومًا، ففض خاتمه وقرأه.

ويتضح من هذه النصوص احتفاظ نقول الوثائق في العصر النبوي، وخاصة في السيرة التي خلَّفها (ابن سعد)، والتي تعطينا تفاصيل واضحة عن كثير من رسائل النبي وسفاراته، كما يمتاز ابن سعد بأنه يذكر النص الكامل لكثير من الوثائق الأصلية.

ويقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كانت عنده نسخ العهود والمواثيق ملء صندوق، ولكنها احترقت حين احترق الديوان يوم الجماجم سنة ٨٢ هـ[٥].

والواقع أنه لم يصل إلينا من تلك الوثائق النبوية سوي اثنتين أو ثلاث، أولها كتاب النبي إلى (المقوقس) حاكم مصر، والثاني كتاب النبي إلى (المنذر بن ساوي) أمير البحرين، والثالث كتاب النبي إلى (النجاشي) ملك الحبشة[٦].

(١) البقرة: ٢٨٢ .
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٣/ ٥٦ .
(٣) السابق ٣/ ٧٦ .
(٤) ابن سعد: الطبقات ١/ ٣٣٨.
(٥) السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ٢٠٧.
(٦) الكلاعي: الاكتفاء ٢/ ٢٦٢.

وإذا كانت أصول هذه الوثائق قد ضاعت، فقد حفظ لنا رواة الحديث والمؤرخون مجموعة كبيرة منها، خاصة في كتب (المغازي)، و(السير)، و(الطبقات)، و(التراجم)، و(كتب التاريخ).

وهناك كتاب آخر شاع في حياة الإمام الزُهري المتوفي سنة (١٢٤ هـ)، فيذكر الطبري أن يزيد بن أبي حبيب المصري أرسل كتابًا إلي ابن شهاب الزُهري مع ثقة من أهل بلده، فعرفه ولم ينكره[١]. ولكن لم يبق لنا أثر من هذا الكتاب، ولا من تصنيف (الهيثم بن عدي)، ولا (المدائني)، وخاصة كتاب (رسل النبي)، للمدائني، ولا يوجد أدني شبهة أنه قد بلغ عدد الذين كتبوا للنبي واحدًا وستين كاتبًا يكتبون بين يديه، وكان لكل واحد منهم اختصاصه، فمنهم من كان يكتب الوحي، ومنهم من كان يشتغل بالمسائل العسكرية، مثل تدوين أسماء المتطوعين للغزوات والسرايا، وتسجيل المغانم وتقسيمها، وآخرون يكتبون إلي الملوك، أو يشتغلون بكتابة المعاملات، وآخرون بالزكاة والصدقات، إلى غير ذلك[٢] .

وقد اهتم لفيف من المستشرقين بهذه الوثائق اهتمامًا كبيرًا، فقبل أن ينشر كتاب (الطبقات الكبرى)، لابن سعد كاملاً، عني المستشرق (ويلهاوزن) بنشر البابين المشتملين على كتب النبي ﷺ، وذكر الوفود التي قدمت عليه، وخص الوثيقة التي كتبها النبي للمهاجرين والأنصار واليهود في المدينة بكتاب.

والواقع أن عصر النبي قبل الهجرة كان عصر تمهيد وتجربة، ولا يصح إن يقال إن الجماعة الإسلامية بمكة كانت حينئذ دولة من الدول التي لها كيان سياسي أو نظام إداري.

ولا تصادف في هذا العصر ما يطلق عليه اسم السياسة الخارجية، سوى بيعتي: العقبة الأولى، والثانية، اللتين أسستا بنيان الدولة الإسلامية، وكان لهما أثر كبير في بنائها فيما بعد، إلا أنهما لم تكتبا في قرطاس، ولم تؤخذا إلا سرًا، وهاتان البيعتان تتعلقان بروابط المسلمين مع أهل المدينة، والتي أعقبتهما الهجرة ووضع الدستور الأساسي للمسلمين في المدينة[٣].

ولما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة، وجد هناك عدة قبائل يهودية، فعاهدهم ودخل معهم في معاهدة وفاق تحت رئاسته.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٣٨٧ .
(٢) البخاري: الصحيح ١/ ١٥٢ ، ابن سعد: الطبقات ١/ ٣٤٠.
(٣) ابن سعد: الطبقات ٢/ ٤٥ .

لما قامت الدولة الإسلامية في المدينة؛ نشأ من جراء ذلك توتر في العلاقات بينه وبين المكيين، وقامت حروب بينهما، ووقعت معارك (بدر) و(أحد) و(الخندق) و(الحديبية) و(فتح مكة).

وهناك إشارات إلى أن بعض الصحابة كانوا يروون رسائل الرسول، كرواية (عمرو ابن حمزة بن زيد) لرسالة النبي في الفرائض والزكاة والديات، أو يروون أوامر الخلفاء إلى الولاة، ككتاب (عمر بن الخطاب) إلى أبي موسي الأشعري حول الصلاة الذي رواه الحارث بن علي الهذلي، أو كانت لهم صحف تروى عنهم: كصحيفة عبد الله بن عمرو ابن العاص المعروفة بالصادقة، والتي نقلها عن الرسول ﷺ مباشرة[١].

وكان بعض أبناء الصحابة يقول في روايته للأخبار: «وجدت في كتاب أبي فلان» أو «في كتاب آبائي»، كما كان لدى بعض أحفاد الصحابة نسخ مما ألف أجدادهم أبناء الصحابة عن حياة الرسول، فقد كان لدى حفيد (سعيد بن سعد بن عبادة) نسخة جده في المغازي، ومثل حفيد (سهل بن أبي خثعمة) الصحابي الذي كان كتابه بخطه أحد مصادر الواقدي فيما بعد[٢].

يعد علم القراءات أول محاولة لتفسير القرآن الكريم، بل هو الأساس لذلك العلم؛ لأن التفسير لا يتم إلا بصحة القراءة، وعلى هذا يكون علم القراءات هو المرحلة الأولى، أو المدخل الصحيح لعلم التفسير[٣].

وكان اهتمام المكيين بهذا العلم كبيرًا، لدرجة أنه لم تخل أية مدينة أو بلدة أو مسجد من مقرئ يقوم بالقراءة الصحيحة للقرآن[٤].

لذلك كان اهتمام المسلمين متوجهًا بالدرجة الأولى منذ فجر الإسلام نحو القرآن الكريم وما يتصل به من علوم؛ لأنه المصدر الأول والثابت للشريعة الإسلامية[٥] . يقول ابن خلدون عن هذا العلم: «القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها»[٦].

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٣٤.
(٢) ابن سعد: الطبقات ٢/ ٤٧ .
(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٤/ ٤٤ .
(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٣٧ .
(٥) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة وموضوعات العلوم ٢/ ٦، وحاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ١٣١٧.
(٦) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٣٧.

وعلى الرغم من أهمية هذا العلم، إلا أن الروايات التي وردت عنه في المصادر تكاد تكون محدودة، وأولى هذه الروايات جاءت في موسم الحج في السنة التاسعة للهجرة لما نزل صدر سورة (التوبة) بعد خروج أبي بكر من المدينة بقافلة الحج، أرسل بها رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ليقرأها على أهل الموسم[١]، فقرأها عليّ على الناس قبل يوم التروية بيوم، وفي يوم عرفة، وفي يوم النحر عند انقضاء خطبة أبي بكر في الأيام الثلاثة[٢].

وتلقى عبد الله بن مسعود سورة المرسلات مِنْ فِي رسول الله ﷺ بمنى في موسم الحج في السنة العاشرة للهجرة[٣].

وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حرص أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين على أن يؤم الناس في صلاتهم الذي ينطق بالقرآن نطقًا صحيحًا.

فقد رأى المسور بن مخرمة رجلا من الأنصار يؤم الناس (أرث) أو (ألثغ) ، فأخّره وقدم رجلاً غيره، فغضب الرجل المؤخر، وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن المسور أخّرني وقدّم رجلاً، فغضب عمر، وجعل يقول : و«عجبًا لك يا مسور، وجعل يرسل إليه، فلما حضر قال لعمـــر: لا تعجل يا أمير المؤمنين، فوالله ما أردت إلا الخير، قال - عمر- : وأي خير في هذا ؟ فقال: إن سوق عكاظ أو ذي المجاز اجتمع فيه ناس كثير، عامتهم لم يسمع القرآن، وكان الرجل (أرث) أو (ألثغ)، فخشيت أن يتفرقوا بالقرآن على لسانه، فأخرته وقدمت رجلًا عربيًا، فقال عمر: جزاك الله خيرًا[٤].

وأتى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو بعرفة جل من أهل الكوفة، فأخبره أنه ترك بها رجلًا يملي المصاحف عن ظهر قلب، فغضب عمر، وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، فقال له: ومن؟ ويحك، فقال: ابن مسعود، فما زال يطفئ غضبه حتى عاد إلى حاله، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم أنه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه[٥].

ومن قراءة عبد الله بن مسعود : (وأتبعوهم مشرقين)[٦]، ونص الآية كما جاء في

(١) كان عدد هذه الآيات أربعين آية من صدر سورة براءة (التوبة) .
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٤٤.
(٣) الإمام البخاري: الجامع الصحيح، الحديث رقم ٤٦٠٦، وابن كثير : مختصره ٣/ ٥٨٦ .
(٤) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٥٨/ ١٦٦.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٥ - ٤٧٦ .
(٦) أبو داود: كتاب المصاحف، ص ٦٦.

المصحف العثماني : ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾[١]، ومن قراءته : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم هدى وبشرى للمحسنين﴾[٢] ونص الآية كما جاء في المصحف العثماني : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين﴾[٣]، وأيضًا : ﴿فلا تعلمن نفس ما يخفي لهم﴾[٤]، ونص الآية كما جاء في المصحف العثماني : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾[٥]، وكذلك من قراءة ابن مسعود : ﴿فإنه يعذبه العذاب الأكبر﴾[٦]، ونص الآية كما جاء في المصحف العثماني : ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾[٧] وكذلك من قراءته في موسم الحج : ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا عن ربكم فابتغوا حينئذ﴾[٨]، ونص الآية كما جاء في المصحف العثماني : ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات ...﴾[٩].

وكذلك ممن حمل القراءة عمن حضر من الصحابة في الموسم عبد الله بن عباس الذي يقول: «كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف بمنى، وذلك في آخر حجة حجها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[١٠]. وكما استفاد عبد الله بن عباس من مواسم الحج، أفاد فيها أيضًا، فقد ولي إمارة الحج في سنتي ٣٥، ٣٦، ومما لاشك فيه أنه أخذت عنه بعض القراءات.

وفي ذلك يروي عن شفيق بن سلمة قوله: «خطبنا ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ سورة البقرة، فجعل يفسر ويقرأ»[١١]، وفي رواية ثانية : «فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر»[١٢].

وممن أخذ عنه القراءة من الصحابة في موسم الحج عبد الله بن الزبير، الذي ولي إمارة الحج نحو عشر سنوات، وفي ذلك يقول عقبة بن عامر: «صلينا خلف ابن الزبير، فكان يقرأ : صراط من أنعمت عليهم»[١٣]، ونص الآية كما جاء في المصحف العثماني :

(١) الشعراء: ٦٠ .
(٢) أبو داود: المصاحف، ص ٦٧ .
(٣) لقمان: ٢، ٣ .
(٤) أبو داود: المصاحف، ص ٦٨ .
(٥) السجدة: ١٧ .
(٦) أبو داود: المصاحف، ص ٥٢ .
(٧) الغاشية: ٢٤ .
(٨) أبو داود: المصاحف، ص ٥٥ .
(٩) البقرة : ١٩٨ .
(١٠) الإمام أحمد: المسند ١/ ١٨٩، الحديث رقم ٣٩٣ .
(١١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/ ٦٦.
(١٢) ابن الجوزي : صفة الصفوة ١/ ٢٤٦، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١.
(١٣) أبو داود: المصاحف، ص ٨٣ .

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ .

وكان حميد بن قيس قارئ أهل مكة يقرأ في المسجد الحرام، ويجتمع الناس عليه حين يختم القرآن، وكان ذلك في أيام موسم الحج، حيث كان بعض الحجيج وطلاب العلم يأخذون عنه قراءته[١].

كما كان محمد بن المنكدر سيدًا يطعم الطعام بمنى، ويجتمع عنده القراء[٢].

علم التفسير

علم التفسير هو أحد العلوم الإسلامية التي لقيت اهتمامًا من العلماء، فقد كان من غير الممكن لأي شخص أن يخوض في هذا العلم إلا بعد أن يحصل على مرتبة عالية من فهم العربية وحديث رسول الله ﷺ وسيرته، وأن يصل إلى درجة عالية من فهم الأحكام الفقهية ومقاصد الشريعة السمحاء؛ ولذلك فإن الذين أتقنوا هذا العلم كانوا قلة بالنسبة لغيرهم، ولكنهم تميزوا بثقافة واسعة جعلتهم يتبوؤون منزلة علمية رفيعة، ومكانة علمية محترمة في المجتمع[٣].

فقد شهد العصر الراشدي رواية أحاديث عن الرسول ﷺ ولأصحابه والتابعين، الذين قصد بعضهم مكة لسماع الأحاديث، أو التأكد من صحة حديث سمعه من غيره من العلماء، ومن أمثلة ذلك ما حدث عندما كان سيدنا عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ يقود ركب الحجيج في طريقه إلى مكة، إذا هاجت الريح، واشتدت على الناس، فقال عمر لمن حوله: ما الريح ؟ فلم يردوا بشيء، فبلغ قوله أبا هريرة، وكان في آخر الركب، فاستحث راحلته كي يدركه ؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أخبرت أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الريح من روح الله عز وجل، تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فلا تسبوها، وسلوا الله من خيرها، وعوذوا به من شرها)[٤].

ويقول أبو عثمان النهدي: بلغني عن أبي هريرة حديثًا أنه قال: «إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة»، فحججت ذلك العام، ولم أكن أريد الحج إلا للقائه في أمر هذا الحديث، فأتيت أبا هريرة، فقلت له: يا أبا هريرة، بلغني عنك حديث

(١) ابن سعد : الطبقات ٥/ ٤٨٦ .

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٣/ ٩٠ .

(٣) السيوطي: الإتقان ٢/ ١٧٥، سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة الإسلام، ص٣٦، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ٤/ ٤٢٢.

(٤) الإمام أحمد: المسند ٣/ ٣٢٤، الحديث رقم ١٠٣٣٦.

وأسألك عنه، قال - أبو هريرة -: فما هو ؟ قلت: «إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة»، فقال أبو هريرة : ليس كهذا، ولم يحفظ الذي حدثك، قال - أبو عثمان - : فظننت أن الحديث قد سقط، قال - أبو هريرة - : إنما قلت: «إن الله ليعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة»، ثم قال: أو ليس ذلك في كتاب الله تعالى؟ قلت: كيف ؟ قال: لأن الله يقول:﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة ﴾[١]، والكثير عند الله أكثر من ألفي ألف وألفي ألف[٢].

وأتى نسوة من أهل الشام إلى مكة المكرمة، فدخلن على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه، فقالت: من أنتن ؟ قلن: من الشام، قالت: لعلكن من الكورة[٣] التي تدخل نساؤها الحمامات؟ قلن: نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله)[٤].

وجاء عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ إلى مكة فمر بالمدينة، فجلس يحدث بها، فسمعه عروة بن الزبير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، ويبقي في الناس رؤوسًا جهالاً يفتونهم بغير علم فيضلّون، ويُضَلّون)[٥]، فحدث عروة خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما بهذا الحديث - بعد رحيل عبد الله بن عمرو عن المدينة - فشكّت فيه أم المؤمنين، فلما كان العام التالي حج ابن عمرو، فقالت عائشة لعروة: يا ابن أختي، انطلق إلى عبد الله، فاستثبت له منه الحديث الذي حدثتني به عنه، فجاء عروة، فسأل عنه ابن عمرو، فحدثه به - كما ذكره أول مرة - فرجع فأخبر أم المؤمنين، فعجبت، وقالت: «والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو»[٦].

علم الفقه

يعرّف ابن خلدون علم الفقه قائلاً: «الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والندب، والكراهة، والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة،

(١) البقرة: ٢٤٥ .
(٢) الخطيب: الرحلة في طلب الحديث، ص ١٣٢ - ١٣٤ .
(٣) الكورة: لفظ يوناني احتفظ به العرب، وهي كل صقع يشتمل على عدة قرى. ياقوت: معجم البلدان ٣٦.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٨٢ .
(٥) الإمام مسلم: صحيح مسلم ٤/ ٣٦٣، ٣٦٤، الحديث رقم ٤، كتاب العلم .
(٦) ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٢/ ١٠٣٧ .

وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استُخرِجَت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»[١].

ويعتبر الفقه من أهم ميادين العلوم الإسلامية وأبعدها أثرًا في حياة المسلمين؛ لما يشتمل عليه من أحكام وقواعد تدور وتنظم جميع شئونهم، ومن هنا كان دور الفقهاء في المجتمع الإسلامي عظيمًا للغاية، يقول رسول الله ﷺ: (من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)[٢].

ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كملت أسس التشريع، ووضعت قواعد الدين[٣]، حيث أنزل الله على رسوله محمد ﷺ في حجة الوداع قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٤].

ومهما يكن من شيء، فقد شهدت فترة هذا البحث تقرير بعض الأحكام الفقهية، وتعليمها لكثير من المسلمين، لا سيما الذين شهدوا موسم الحج، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

حج عبد الله بن الأرقم، فكان يصلي بأصحابه، يؤذن ويقيم، فأقام يومًا للصلاة، وقال: ليصل أحدكم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء، وأقيمت الصلاة، فليذهب إلى الخلاء)[٥].

وكذلك تعلم بعض القادمين إلى مكة مواقيت الصلاة من خلال موسم الحج، فقد كان رسول الله ﷺ قد أعطى أبا محذورة الأذان بمكة، فحج عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فنزل في دار الندوة، فأذن، وأتى ليسلم، فقال له عمر: ما أندى صوتك، أما تخشى أن ينشق مُرَيْطاؤك من شدة صوتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، قدمت، فأحببت أن أسمعك صوتي، قال: يا أبا محذورة، إنك بأرض شديدة الحر، فأبرد عن الصلاة، ثم أبرد عنها، ثم أذن، ثم أقم تجدني عندك[٦] .

وكان عبد الله بن الزبير يصلي قبل غروب الشمس ركعتين، فلما جاء معاوية بن أبي سفيان إلى مكة، أرسل إليه يقول له: ما هاتان الركعتان عند غروب الشمس؟ فأخبره أنه

(١) المقدمة، ص٤٤٥ .
(٢) أخرجه البخاري (فتح الباري، حديث رقم ٧١)، ومسلم : الصحيح ٢/ ٧١٨ .
(٣) د. أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة، ص ٢١٨، ود. الحفناوي: الحضارة الإسلامية، ص ١٤٦ .
(٤) المائدة: ٣ .
(٥) الإمام أحمد: المسند ٤/ ٥٣٣، الحديث رقم ١٥٥٢٩ .
(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٨، ١١٩ .

سمع ذلك من أم سلمة رضي الله عنهما، فسألها معاوية، فقالت: «إن رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين قبل العصر، فشغل عنهما، فركعهما حين غابت الشمس، فلم أره يصليهما قبل، ولا بعد»[١] .

وحج سلمة بن كهيل، فرأى سعيد بن المسيب في جَمْع قد أقام الصلاة، فصلى المغرب ثلاث ركعات، ثم أقام فصلى العشاء ركعتين، ثم ذكر أن ابن عمر صنع مثل ذلك في نفس المكان، وكذلك صنع رسول الله ﷺ مثل ذلك فيه[٢] .

وفي سنة ١١٣ خسفت الشمس بمكة في موسم الحج، وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك أميرًا على الحج، وكان في مكة يومئذ كثير من العلماء والفقهاء، منهم : ابن شهاب الزهري، وابن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وأبو بكر بن حزم، وقتادة، وأيوب بن موسى، وغيرهم.

يقول الليث بن سعد - وكان قد حج في هذه السنة -: فقمنا قيامًا بعد العصر ندعو، فقلت لأيوب بن موسى: ما لهم لا يصلون وقد صلى النبي ﷺ؟ قال أيوب: لأن النهي قد جاء في الصلاة بعد العصر، وأن لا يصلى، ولذلك لا يصلون، وأن النهي يقطع الأمر - أي بالصلاة - [٣] .

وفي ذلك يُروَى عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا نخرج إذا كان بيننا رسول الله ﷺ زكاة الفطر عن كل صغير وكبير، حرًا أو مملوكًا، صاعًا من طعام، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من زبيب، فلم نزل نخرجه حتى قدم علينا معاوية بن أبي سفيان حاجًا أو معتمرًا، فكلم الناس على المنبر، فكان مما كلمهم فيه أن قال: إني أرى أن مُدّيْن من سمراء الشام تعدل صاعًا من تمر، فأخذ الناس بذلك»[٤].

وجاء الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى مكة حاجًا وفي صحبته عبد الله بن عباس، فكانا يطوفان معًا، وكان ابن عباس يستلم الأركان كلها، فقال له معاوية: إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين، فقال ابن عباس: ليس من أركانه شيء مهجور[٥] .

(١) الإمام النسائي : سنن النسائي ١/ ٢٨٢ .
(٢) النسائي : سنن النسائي ١/ ٢٣٩ .
(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٥٠/ ٣٥٢ - ٣٥٣ .
(٤) الفسوي : المعرفة والتاريخ ١/ ٤١٥ - ٤١٦.
(٥) الإمام البخاري: التاريخ الكبير ١/ ١٢٥، والفاكهي : أخبار مكة ١/ ١٥١ - ١٥٢ .

وحج عبد الملك بن مروان وفي صحبته الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وقبيصة ابن ذؤيب، فلما طاف عبد الملك بالبيت طواف القدوم، وصلى ركعتين، وأراد أن يخرج إلى الصفا، قال له الحارث بن ربيعة: عد إلى الركن الأسود قبل أن تخرج إلى الصفا، فالتفت عبد الملك إلى قبيصة، فقال: لم أر أحدًا من أهل العلم يعود إليه، فقال عبد الملك : طفت مع أبي، فلم أره عاد إليه، واستطرد قائلاً: يا حارث، تعلم مني كما تعلمت منك حين أردت أن ألتزم البيت فأبيت عليّ[١]، قال: أفعل يا أمير المؤمنين، ما هو بأول علم استفدت من علمك[٢].

وحج معاوية بن أبي سفيان، فأرسل إلى شيبة بن عثمان أن افتح لي باب الكعبة، ثم قال: عليّ بعبد الله بن عمرو، قال - شيبة - : فجاء ابن عمرو، فقال له معاوية: هل بلغك أن رسول الله ﷺ صلى في الكعبة ؟ فقال: نعم، دخل رسول الله الكعبة فتأخر خروجه، فوجدت شيئًا، فذهبت ثم جئت سريعًا، فوجدت رسول الله خارجًا، فسألت بلال ابن أبي رباح: هل صلى رسول الله ﷺ في الكعبة؟ قال: نعم، ركعتين بين الساريتين[٣].

وتقول زينب ابنة المهاجر إنها خرجت حاجة ومعها امرأة، فضربت عَلَيَّ فسطاطًا، ونذرت ألا أتكلَّم، فجاء رجل فوقف على باب الخيمة، فقال: السلام عليكم، فردّت عليه صاحبتي، فقال: ما شأن صاحبتك ترد علي؟ قالت: إنها مُصمتة، إنها نذرت أن لا تتكلم، فقال: تكلمي فإن هذا من فعل الجاهلية، فقالت: فقلت: من أنت يرحمك الله ؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قلت: من أي المهاجرين ؟ قال: من قريش، قلت: من أي قريش ؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر[٤].

وصحب عطاء بن أبي رباح عبد الله بن عمر في الحج، فلما كان يوم عرفة أصبح عطاء صائمًا، وأصبح عبد الله مفطرًا، فدعا ابن عمر عطاء إلى الغذاء، فقال له عطاء: كيف ترى يا أبا عبد الرحمن في صيام هذا اليوم؟ فقال له عبد الله: أمّا أنا فلا أصومه، فقال عطاء: أفأفطر؟ فقال ابن عمر: أتريد أن تقول: إن عمر أمرني بالفطر، فأفطر عطاء، فلم ينهه ابن عمر، ولم يعب عليه في ذلك[٥] .

(١) أراد عبد الملك في الشوط السابع أن يتعوذ بالبيت، فجذبه الحارث، وقال له: أتدري أول من فعل هذا ؟ عجوز من عجائز قومك، فمضى عبد الملك ولم يتعوذ. الفاكهي: أخبار مكة ١/ ١٧٠ .

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١/ ١٧٠ .

(٣) الإمام أحمد : المسند ٧/ ٢١، الحديث رقم ٢٣٣٦٨ .

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٧٠ .

(٥) الفسوي : المعرفة والتاريخ ١/ ٤٢١ - ٤٢٢ .

وحج عبد الله بن عمر أثناء فتنة عبد الله بن الزبير[١]، فقيل له: إنا نخاف أن يحال بينك وبين البيت، فقال: إن صددت عن البيت صنعت ما صنَعْنا مع رسول الله ﷺ، فخرج هو وأصحابه، فأهلّ بعمرة، حتى إذا ظهر على البيداء التفت إلى أصحابه، وقال: ما أمرهما إلا واحدًا، أشهدكم أني قد أوجبت الحج مع العمرة، ومضى حتى أتى البيت، فطاف به وبين الصفا والمروة سبعًا[٢] .

علم التاريخ

لم تعرف العرب قبل الإسلام كلمة تاريخ، ولم تكن مستخدمة في اللغة العربية، حتى أنه لم يرد ذكرها في القرآن الكريم - وإن وردت كلمة قصص في السياق القرآني كثيرًا، ولكن لفظة تاريخ لم ترد- ولا في السنة النبوية كتب الحديث، حتى أن البخاري يروي حديثًا عن سهل بن سعد، حيث قال: «ما عَدُّوا من بعث النبي ولا من وفاته، ولكن عَدُّوا من مقدمه إلى المدينة» .

وهكذا استخدم البخاري كلمة (عَدَّ) ولم يستخدم (أرَّخ)؛ إذ لم تكن الكلمة دارجة في الاستخدام، ولم يألفها العرب من قبل.

وكان عروة بن الزبير ثقة كثير الحديث، فقيهًا، مأمونًا، ثبتًا، أرسى قواعد الكتابة في سيرة النبي ﷺ، وكان مرجعًا في المغازي للخلفاء والأمراء والعلماء، يكتبون إليه ويسألونه، كان يجيبهم كتابة أو شفاهًا[٣]، ومثله وهب بن منبه، الذي كان أول من جمع المغازي والسير[٤].

ومما لا شك فيه أن طلاب العلم قد أخذوا عن هؤلاء العلماء بعض الروايات التاريخية أثناء حضورهم موسم الحج، ومن أشهر تلاميذ هؤلاء: ابن شهاب الزهري الذي صنف كتابًا في المغازي النبوية، وكان طلاب العلم يجتمعون إليه في الموسم، يستمعون ويأخذون عنه الروايات التاريخية[٥].

ويذكر جابر بن زيد أنه سمع بجالة يحدث في العام الذي حج فيه مصعب بن الزبير بأهل البصرة سنة ٧٠ ، عند درج زمزم، فقال: كنت كاتبًا لجزّي بن معاوية[٦]، عم الأحنف

(١) يُقصد بفتنة عبد الله بن الزبير: الفترة التي تولى فيها الخلافة وخرج على الأمويين من سنة ٦٣ إلى سنة ٧٤ .

(٢) محمد بن الحسن الشيباني: كتاب الحج، ص ١٣٨ .

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ١٧٤٧، ود. محمد فضل: التاريخ، ص ١١٨، ١١٩.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٧٤٧ .

(٥) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٢٨ .

(٦) كان واليًا لعمر بن الخطاب على الأهواز. (ابن خياط: الطبقات، ص ٣٣٤).

ابن قيس، فأتى كتاب عمر قبل موته بسنة: «اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة»، فقتلنا ثلاثة سواحر، وجعلنا نفرق بين الرجل وبين حريمه في كتاب الله، وصنع جزّي لهم طعامًا كثيرًا، ودعا المجوس، وعرض السيف على فخذه، وألقى وقر بغل أو بغلين من ورق، فأكلوا بغير زمزمة، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس قبل ذلك، حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[١].

ويذكر الأحنف بن قيس أنه بينما كان يطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، إذ لقي رجلًا من بني ليث، فأخذ بيده، ثم قال: ألا أبشرك ؟ فقال: بلى، قال: تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد، فجعلت أعرض عليهم الإسلام، وأدعوهم إليه، فقلت: أنت، إنك لتدعو إلى خير، وما أسمع إلا حسنًا، قال: فإني ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اللهم اغفر للأحنف»، فكان الأحنف بعدها يقول : فما شيء أرجى عندي من ذلك[٢] .

ولما حج الخليفة معاوية بن أبي سفيان نظر إلى قوم من قبيلة أسلم، فقال: اظلموا عليهم بيوتهم، أظلم الله عليهم قبورهم، قتلة عثمان، فخرج إلى معاوية رضي الله عنه نيار بن مكرم، فقال له : كيف يُظلم عليّ بيتي وأنا رابع أربعة، حملنا أمير المؤمنين وقبرناه وصلينا عليه؟ فعرفه معاوية، فقال: اقطعوا البناء ولا تبنوا على وجه داره، ثم دعاه خاليًا، فقال له: متى حملتموه، ومتى قبرتموه، ومن صلى عليه؟ فقال له: حملناه رحمه الله ليلة السبت بين المغرب والعشاء، فكنت أنا وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وأبو جهم بن حذيفة العدوي، وتقدم جبير بن مطعم، فصلَّى عليه، فصدقه معاوية، وكانوا هم الذين نزلوا في حفرته[٣] .

فقد ذكرت المصادر نص رواية ورد فيها هذا، وقد وقعت في موسم الحج بمكة، فقد نزل معاوية في دار الندوة – في بعض حجاته – فدخل عليه سعد بن أبي وقاص، فأجلسه معاوية على سرير، ثم وقع في عليّ، فقال له سعد: والله لأن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له يوم خيبر: (لأعطين الراية غدًا رجلاً يحبه الله

(١) ابن سلام: كتاب الأموال، ص ١٠٥، ١٠٦.
(٢) ابن سعد: الطبقات ٧/ ٩٣ – ٩٤، والفسوي: المعرفة ١/ ٢٣٠ .
(٣) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٧٨ – ٧٩، والبلاذري: انساب الأشراف ، ق ٤ ص ٥٧٧، ٥٧٨ .

ورسوله، ويحب الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على يديه)[١] أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال لعليّ في غزوة تبوك : (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)[٢] أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيم الله لا دخلت لك دارًا ما بقيت[٣] .

ويروى عن عثمان بن عبد الله بن موهب أن رجلًا من أهل مصر حج البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا : هؤلاء من قريش، قال: فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء، فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهده؟ قال: نعم، قال: وتعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم، فكبّر المصري، فقال ابن عمر: تعال أبين لك ما سألتني عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه)، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فأخذ رسول الله ﷺ بيده اليمنى، فضرب بها على يده وقال: هذه لعثمان، ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[٤].

وحج ابن شهاب الزهري، فنزل في دار ابن الجزار، فآتاه طلاب العلم، منهم سفيان ابن عيينة، فقال لهم: إن شئتم حدثتكم بعشرين حديثًا، وإن شئتم حدثتكم بحديث السقيفة - سقيفة بني ساعدة - فقال له القوم: حدثنا بحديث السقيفة، فحدثهم به[٥].

وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد شهدت مواسم الحج نوعًا آخر من التاريخ، وهو القصص التاريخي، فقد قدم الخليفة معاوية بن أبي سفيان مكة في بعض حجاته، فأخبر بقاص من بين مخزوم يقص على أهل مكة في المسجد الحرام، فأرسل إليه معاوية، فقال له: أمرت بالقصص، قال: لا، قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن، قال: تيسر مما علمنا الله عز وجل، فحذره معاوية من أن يفعل مثل هذا بعد ذلك بدون إذن،

(١) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٨٧ .
(٢) البخاري: الجامع الصحيح، الحديث رقم ٣٧٠٢.
(٣) المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٢٣.
(٤) الإمام أحمد : المسند ٢/ ٢٣٧، الحديث رقم ٥٧٣٨، والإمام البخاري: الجامع الصحيح ٣/ ١٢٣، الحديث رقم ٣٦٥٠، وابن العربي: العواصم من القواصم، ص ١١٤.
(٥) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٢٨ .

ثم قال له: إن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة - يعني في الأهواء - وإن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، هي الجماعة)، وقال (إنه سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه، فلا يبقى عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم محمد ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن يقوم به)[١].

علم الأنساب

العرب منذ أن أشرقت شمس هذا الكون وهم تحت سمائها، يفخرون بأحسابهم وأنسابهم، يحفظونها عن ظهر قلب، ويعتبرونها أساس وجودهم ومدعاة شرفهم.

وعلم الأنساب من أهم العلوم التي وضعها الله سبحانه وتعالى في هذه الأمة، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٢].

وقد اشتهر جماعة من النسابة في فترة هذا البحث كان لبعضهم أثر في مواسم الحج، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان من أنسب العرب، كما كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، وكان يقول: «إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق»[٣] .

واشتهر أيضًا دَغْفل بن حنظلة الشيباني الذي كان له علم ورواية للنسب، ولكن لا منصف له[٤].

وممن اشتهر بعلم النسب من التابعين أيضًا سعيد بن المسيّب، فقد قال له رجل: أريد أن تعلمني النسب، فقال له سعيد: إنما تريد أن تساب الناس[٥].

هذا بالإضافة إلى أنه كان في كل قبيلة قوم يعرفون أنسابها، وكان كثير من هؤلاء يحضرون موسم الحج، وتُجرّى بينهم المناظرات في رحاب مكة المكرمة[٦].

(١) البيهقي: شعب الإيمان ٦/ ٥٤٢، وابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٢/ ١٣١ .
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥١ .
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٤٠ .
(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ٢٨٠ .
(٦) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ٣٤٧ .

ومن أشهر المناظرات التي حدثت في مكة في مواسم الحج خلال فترة هذا البحث تلك المناظرة التي وقعت في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد مرّ أثناء حجه بزينب ابنة المهاجر، وقد ضربت عليها فسطاطًا، ونذرت ألا تكلم أحدًا، فقال لها أبو بكر: تكلّمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسئول، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم، قالت: ومَن الأئمة ؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت : بلى، قال: فهم أولئك على الناس[1].

ويذكر يزيد بن شيبان أنه خرج حاجًا، حتى إذا كان بالمحصب من (منى)، إذا برجل على راحلة معه عشرة من الشباب، مع كل واحد منهم محجن ينحون الناس عنه، ويوسعون له، يقول يزيد: فلما رأيته دنوت منه، فقلت: ممن الرجل؟ قال: من مهرة ممن يسكن الشحر، قال يزيد: فكرهته، ووليت عنه، فناداني من ورائي قائلا: ما لك؟ فقلت: لستَ من قومي، ولست تعرفني ولا أعرفك، قال: إن كنتَ من كرام العرب فسأعرفك، قال - يزيد - : فكررت عليه راحلتي، فقلت: إني من كرام العرب، قال: فممن أنت ؟ قلت: من مضر، قال: فمن الفرسان أنت أم الأرحاء؟ قال: فعلمت أنه أراد بالفرسان قيْسًا، وبالأرحاء خندفًا، فقلت: بل من الأرحاء، قال: أنت امرؤ من خندق؟ قلت: نعم، قال: من الأرنبة أنت أم من الجماجم ؟ قال يزيد: فعلمت أنه أراد بالأرنبة خزيمة، وبالجماجم بني أُدَ بن طابخة، فقلت: بل من الجمجمة، قال: فأنت امرؤ من بني أُدَ بن طابخة ؟ قلت: أجل، قال: فمن الدواني أنت أم من الصميم ؟ فعلمت أنه أراد بالدواني الرباب ومزينة، وبالصميم بني تميم، فقلت: من الصميم، قال: فأنت إذًا من بني تميم، قلت: أجل، قال: فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين، أم من إخوانهم الآخرين ؟ قال: فعلمت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد مناه، وبالأقلين ولد الحارث، وبإخوانهم الآخرين بني عمرو بن تميم، قلت: من الأكثرين، قال: فأنت إذا من ولد زيد، قلت: أجل، قال: فمن البحور أنت أم من الجدود، أم من الثماد ؟ قال: فعلمت أنه أراد بالبحور بني سعد، وبالجدود بني مالك بن حنظلة، وبالثماد امرأ القيس بن زيد، قلت: بل من الجدود، قال: فأنت من بني مالك بن حنظلة، قلت: أجل، قال: فمن اللهاب أنت، أم من الشعاب، أم من اللصاب؟ قال: فعلمت أنه أراد باللهاب مجاشعًا، وبالشعاب نهشلا، وباللصاب بني عبد

(١) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ١٨٢ .

الله بن دارم، فقلت: من اللصاب، قال: فمن البيوت أنت، أم من الزوافر؟ قال: فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة، وبالزوافر الأحلاف، فقلت: من البيوت، قال: فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس، وقد كان لأبيك امرأتان، فأيهما أمك؟[١] .

وخرج صباح بن الهذيل حاجًا، فمر بالمنزل الذي تنزل فيه (خرقاء)، فآتاها، فإذا هي امرأة جزلة، عندها جماعة من الأعراف، تحدثهم وتناشهدهم، فسلمت عليه، ثم سألته عن نسبة، فانتسب لها إلى جده الأعلى - وهي تنزله - حتى انتسب إلى أبيه، فقالت: حسبك أكرمت ما شئت، ما اسمك ؟ فقال: صباح، فقالت: وأبو من؟ قال: أبو المغلّس، فقالت: أخذ أول الليل وآخره، يقول صباح: «فما كان لي همة إلا الذهاب منها»[٢]، وهذا يدل على أن معرفة الأنساب والعلم بها في فترة هذا البحث لم يكن مقصورًا على الرجال، وإنما أخذت المرأة بنصيب منه، وكانت لها المقدرة على مناظرة الرجال.

وحج الليث بن سعد، فدخل على نافع مولى ابن عمر، فقال له نافع: من أين؟ فقال: رجل من أهل مصر، قال: ممن ؟ قال: من قيس، قال: ابن رفاعة ؟ قال: أنا رجل من قومه[٣].

ازدهار الأدب

خلّف لنا أسلافنا تراثًا ضخمًا، وكنزًا ثمينًا من العلوم العربية والإسلامية، جدير بالجلال والإكبار، ولكن كثيرًا منه لا يزال مخبوءًا بين جدران دور الكتب تحيط به أغشية من خيوط العنكبوت، وتغلفه طبقة من الأتربة. وكان من الأمور الجيدة في العصر الحاضر أن اهتم كثير من الباحثين والكتاب بالتراث الإسلامي والعربي، وواكب هذا الاهتمام استخدام الأجهزة المتطورة كآلات الطباعة الحديثة، وآلات التصوير، والحاسب الآلي، فحظي هذا التراث بحركة علمية نشطة وواسعة على مستوى الحكومات والأفراد، حتى كاد أن يكون هو المحور الرئيس الذي تدور حوله هذه الحركة العلمية المعاصرة في شتى مرافقها، كـ: الجامعات، والمعاهد التراثية، والمكتبات الأهلية والتجارية، ودور النشر، والمراكز التراثية والعلمية[٤].

وقد ازدهر علم الأدب بفنيه: الشعر، والنثر في مكة المكرمة في العصر الراشدي

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/ ٢٨٢ - ٢٨٣ .
(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٨/ ٤٤ .
(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٤٣ .
(٤) يحيي وهيب الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص، ص٧٥، وما بعدها .

نتيجة تعدد الأحزاب، وتقدير الحكام للشعراء، وازدهار الثقافة الأدبية والدينية، بالإضافة إلى قوة الملكات، واستكمال أدوات البيان[١].

أولاً- الشعر

ليس بين أيدينا أي دليل مادي على أن المكيين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم، وربما كتبوا بها بعض قطع أو بعض قصائد، ولكنهم لم يتحولوا من ذلك إلى استخدامها أداة نقل دواوينهم إلى الأجيال التالية، فقد كانت وسائلها الصعبة من الحجارة والجلود والعظام وسعف النخل تجعل من العسير أن يتداولها الشعراء في حفظ دواوينهم، إنما حدث ذلك في الإسلام، بفضل القرآن الكريم وما أشاعه من كتابة آية، وتحول جمهور العرب معه من أميتهم الكبيرة إلى قارئين يتلون الكتاب.

ولا نكاد نمضى طويلًا في العصر الإسلامي حتى تتحول العربية من لغة مسموعة فحسب إلى لغة مسموعة مكتوبة، وهو تحول شارك فيه العرب والمستعربون، وكل ما بين أيدينا من روايات عن كتابة بعض الأشعار في الجاهلية إنما يدل على أن الكتابة كانت معروفة، وخاصة في البيئات الآخذة بشيء من الحضارة، ونقصد المدن مثل مكة والمدينة والحيرة، ولكنه لا يدل بحال على أنها اتخذت أداة لحفظ الشعر الجاهلي و دواوينه، ولو أنهم كان لهم كتاب جمعوا فيه أطرافًا من أشعارهم لما أطلق الله جل وعز على القرآن اسم الكتاب، فلا كتاب لهم من قبله لا في الدين ولا في غير الدين.

كان العرب يطلقون على القصيدة الجيدة اسم المعلقة، أما ما يقال من أن المعلقات كانت مكتوبة ومعلقة في الكعبة فمن باب الأساطير، وهو في حقيقته ليس أكثر من تفسير فسر به المتأخرون معنى كلمة المعلقات، فقد جاء في العقد الفريد أنه بلغ من شغف العرب بالشعر أن «عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير...»[٢] .

والواقع أن بعض العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا أنكروا أمر التعليق في الكعبة؛ لأنها اشتملت على كثير من الشعر الإباحي الذي لا يجوز معه تعليقه في هذا المكان المقدس، كما في معلقة امرئ القيس التي تتنافي مع الأخلاق الفاضلة.

أضف إلى ذلك أن الكعبة قد جدد بناؤها على عهد رسول الله، ولم يذكر أحد من

(١) حجازي حسن طراوة: دور الحج في إثراء الحركة العلمية، ص ٤٣ .

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ١٣٨ .

الذين قاموا بتجديدها عن وجود هذه القصائد معلقة بين أستارها.

ولكن الأرجح أنها كانت تعلق على الكعبة، إن حملت القصائد الكثير من الغزل العفيف؛ نظرًا لتواتر الروايات القائلة بذلك. ومن المعروف تاريخيًا أن العرب كانت تكتب العهود والمواثيق، ثم يعلقونها في الكعبة[١].

وإذا كان القرآن الكريم على قداسته لم يجمع في مصحف واحد إلا بعد وفاة الرسول، وبعد مشاورة بين أبى بكر رضوان الله عليه والصحابة، فذلك وحده كاف لبيان أن العرب لم تنشأ عندهم في الجاهلية فكرة جمع شعرهم أو أطراف منه في كتاب، إنما نشأ ذلك في الإسلام وبمرور الزمن.

أما في الجاهلية فكانوا يعتمدون فيه على الرواية وكان الشاعر يقف فينشد قصيدته، ويتلقاها عنه الناس ويروونها.

ومعنى ذلك أن النهر الكبير الذي فاض بالشعر الجاهلي إنما هو الرواية الشفوية، وقد ظلت أزمانًا متتالية في الإسلام، ويدل على ذلك أقوى الدلالة أن الحديث النبوي ظل في أغلب أحواله يعتمد على الرواية والمشافهة إلى نهاية القرن الأول للهجرة.

وإذا كان الحديث بما له من قدسية لم يعمدوا إلى تدوينه تدوينًا عامًا إلا بعد مرور نحو قرن على الهجرة الشريفة فأولى أن يكونوا قد تبعوا ذلك في الشعر الجاهلي، فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت الأداة الطيعة لنشرة وذيوعه، وكانت هناك طبقة تحترفها احترافًا، هي طبقة الشعراء أنفسهم.

وكان يسجل مآثرهم ومثالبهم وأنسابهم وأيامهم وأخبارهم، ومن ثم قال عمر بن الخطاب: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه» فهو كل علمهم وكل حياتهم[٢].

وجاء الإسلام فانكبوا على تلاوة القرآن الكريم، ولكن لم ينسوا شعرهم أبدًا، حتى منذ بدء الدعوة الإسلامية، فقد كان الرسول عليه السلام يستحث حسان بن ثابت وغيره من شعراء الأنصار على هجاء قريش والرد على شعرائها، وكان كثيرًا ما يستنشد الصحابة الشعر، حتى شعر أعدائه من مثل أمية بن أبى الصلت، قال الشريد بن سويد الثقفي: «استنشدني النبي ﷺ شعر أمية بن أبى الصلت فأنشدته، فأخذ النبي ﷺ يقول: هيه، هيه، حتى أنشدته مائة قافية». وكان أبو بكر نسابة راوية للشعر الجاهلي، وكان يتمثل به أحيانًا في خطابته كخطبته المشهورة في يوم السقيفة، وكذلك كان عمر،

(١) محمد حلمي عليوة: من روائع الشعر العربي القديم، ص٢٣ .

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ١٤١.

وقلما كان يترك وافدًا عليه من قبيلة دون أن يسأله عن بعض شعرائها، وفيه يقول ابن سلام: «كان لا يكاد يعرض له إلا أنشد فيه بيت شعر» .

وهذا نفسه شأن الصحابة جميعًا، فقد كانوا كثيرًا ما يتناشدون الأشعار ويقصون بعض الأخبار عن جاهليتهم، ومعنى ذلك أن رواية الشعر الجاهلي كانت مستمرة في صدر الإسلام، وقد أخذت تظهر عوامل تشد من أزرها وتقوى من شأنها، فقد أخذت تنشأ منذ تدوين عمر للدواوين حاجة شديدة لمعرفة الأنساب، إذ كانت تلعب دورًا مهمًا في رواتب الجند الفاتحين، وفي مراكز القبائل بالمدن الجديدة التي خططوها، مثل البصرة والكوفة.

وكان العرب قديمًا ممن يشتهرون بمعرفة الأنساب، ولكن في هذا العصر الإسلامي إلى تمامه يصبح لهؤلاء النسابين شأن خطير، إذا كان العرب يرجعون إليهم في معرفة أصولهم، وكثيرًا ما كانوا يسوقون لهم قطعًا من الشعر تحدد نسبهم، ومن أشهرهم: عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن أبي نوفل، ودغفل، والنخار بن أوس العذري.

ومنذ وقت مبكر في صدر الإسلام نرى القُصَّاص يجلسون للعظة في المسجد الجامع، وكانوا كثيرًا ما ينثرون الأشعار الجاهلية التي تتصل بوعظهم في تضاعيف قصصهم، ثم أخذت تنشأ جماعة مثل أبان بن عثمان بن عفان، وعروة بن الزبير تعنى بغزوات الرسول وما قيل فيها من الشعر، وأخذ يظهر بجانبهم جماعة تعنى بأخبار العرب الماضين وما كان يجرى على ألسنة شعرائهم. ويخيل إلى الإنسان أنه لم يبق عربي في العصر الإسلامي وما تلاه من أوائل العصر العباسي إلا وهو يروي الشعر الجاهلي، إن هو تحدث أو وقف خطيبًا.

وظل هذا شأن العرب في صدر الإسلام، فهم يتناشدون الشعر ولا يقيدونه إلا قليلًا وفي ظروف خاصة، حتى مصرت الأمصار، وراجعت العرب الأشعار، وأخذت فكرة التدوين تسلك طريقها في تسجيل غزوات الرسول وأحاديثه، وفي تقييد بعض الأخبار التاريخية، فدون زياد بن أبيه كتابًا في المثالب، ودون عروة بن الزبير غزوات النبي عليه السلام وحروبه، ودون معاوية أخبار عبيد بن شرية أو بعبارة أدق: أمر غلمانه بتدوينها، وأخذ بعض الصحابة والتابعين يدون أحاديث الرسول ﷺ.

وقد يكون في تدوين الأحاديث ما ينير لنا الطريق في تدوين الشعر، فإن كثيرًا من الصحابة والتابعين كان ينكر تدوينها، ولم تدون تدوينًا عامًا إلا على رأس المائة، وكذلك نستطيع أن نقول إنه على الرغم من اهتمام القبائل بشعرها الجاهلي وشعرائها الذين

يعدون مناط شرفها وفخرها؛ لما يسجلون من مناقبها وأمجادها ومثالب خصومها، فإنها لم تعمد إلى تدوين هذا الشعر إلا في حقبة متأخرة من عصر بني أمية، ويظهر أنهم لم يكونوا يدونون أشعار شعرائهم وحدهم، بل كانوا يدونون معها أخبارهم.

على أن يلاحظ إزاء هؤلاء المؤرخين أن كثيرًا منهم لم يكن دقيقًا فيما يجمع من شعر، ولعل ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية أشهرهم في هذا الباب، وقد تصدى له ابن سلام في طبقاته، فقال : «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد ابن إسحاق بن يسار، وكان من علماء الناس بالسير .. فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها، ويقول: لا علم لي بالشعر، أوتي به فأحمله.

ولم يكن ذلك له عذرًا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء، فضلًا عن الرجال، ثم جاوز الرجال إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارًا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه، فيقول: من حمل هذا الشعر، ومن أداه منذ آلاف السنين، والله تبارك وتعالى يقول:﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي لا بقية لهم، وقال أيضًا: ﴿وأنه أهلك عادًا الأولى وثمود فما أبقى﴾، وقال في عاد: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾. «وقال ابن سلام أيضًا في ابن إسحاق: «فلو كان الشعر مثل ما وُضع لابن إسحاق ومثل ما رواه الصحفيون ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم» وتعقب ابن هشام في سيرته ابن إسحاق ورد كثيرًا مما روى، أو صحح نسبته.

ودلت الأحداث السياسية والمذهبية ـ التي مرت بها الأمة الإسلامية منذ نشأتها ـ على أن الشعر كان وثيقة من الوثائق المعتمدة في صدر الإسلام للتدليل على صحة الخبر؛ ولذلك ملئت به كتب التاريخ. ولم تكن عادة الاستشهاد به حالة طارئة انفردت به كتب معينة، أو عرف بها مؤلف واحد، أو اقتصرت على فن بعينه، وإنما كانت الكتب على اختلاف موضوعاتها وفنونها تضم شعرًا كثيرًا، ولو حاولنا استخراج ما تفرق من شعر في الكتب لوجدنا زخمًا كثيرًا بين دفتي كثير من كتب التراث، ونظرة سريعة مثلًا إلى ما كتبه (ابن هشام) في سيرته، و(ابن سعد) في طبقاته، و(الطبري) في أممه وملوكه لحصلنا منه الشيء الكثير.

والحقيقة أن الرسول قد اعتمد على (حسان بن ثابت) في إنشاد الشعر للمنافحة والدفاع عن الدعوة الإسلامية، وقد قالها الرسول صراحة : (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل)، وقال لشعرائه المسلمين: (ما

يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم)، وربما كان (حسان ابن ثابت) أسعد الشعراء حظًا من تشجيع النبي له، حتى يقال إنه وضع له منبرًا في المسجد يقوم عليه للدفاع عنه، وكان يقول: (إن الله يؤيد حسان بروح القدس)، ويقول أيضًا: (أجب عني اللهم أيده بروح القدس)[١].

وقد يسأل البعض: ما هو السبب في وجود هذا الكم الهائل من الأشعار في كتب التاريخ والسير والمغازي ومعاجم البلدان؟

والواقع أن وجود الشعر في كتب التاريخ والسير هي نفسها أسباب وجود الشعر في كتب اللغة والنحو والبلاغة، فكلاهما يدلان على منهج واحد، ويسلكان خطًا واحدًا، ألا وهو استنباط قاعدة للبرهنة على صحة الموضوع الذي يروونه، وإكسابه ثقة في نفوس السامعين والقارئين؛ ولذلك حفل الشعر العربي بقضايا تاريخية مهمة، حتى يعتقد البعض: أن الشاعر يصنع من خياله مسرحية يوثر بها على السامع. ولعل هذه الظاهرة هي التي جعلت الشعر العربي يحفل بأكبر مجموعة من أسماء المواقع والآثار؛ لأنها أصبحت جزءًا من واقعه.

وهناك حقيقة ثابتة أن كثيرًا من النصوص الشعرية والأحاديث النبوية والفتاوى الفقهية كانت مكتوبة ومدونة، على الرغم من كونها نصوصًا أولية، ولم تتخذ شكل التدوين الرسمي، إلا أن ذلك يؤكد وجود نصوص تاريخية مدونة عن العصر النبوي وعصر الرسالة الأول تكشف عن التدوين المبكر والدائم للأخبار والأحاديث، والتي كانت أحيانًا تأخذ اسم (الصحف) أو (الكتب)، فيذكر ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن جبير قوله: «... ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي». وروت الصحابية سلمى أن عبد الله بن العباس قد كتب عن زوجها أبي رافع الصحابي بعض أعمال الرسول على ألواح. وكان من يكتب أدعى للثقة ممن لا يكتب، فقد سأل أحد التابعين تابعيًا آخر: لماذا لم يروِ عن الصحابي جابر بن عبد الله؛ على نحو ما روى عن سليمان اليشكري؟ فأجاب: لأن سليمان كان يكتب. وروى ابن أبي ليلى المتوفى سنة (٨٢ هـ) أنه سأل الحسن بن علي بن أبي طالب عن رأي والده في الخيار (أي أولي الفضل) فأمر بإحضار صندوق وأخرج منه صحيفة صفراء تضم آراء الإمام علي في ذلك ... والأنباء في هذا الباب متواترة كثيرة.

وحين ظهر الإسناد في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري فإنما كان سببه

(١) محمود زيني: أدب الدعوة، ص ٩٨، ٩٩.

التأكد من صحة الرواية من مصدرها الأصلي.

ولذلك فإن الأسماء الواردة في الإسناد لدى الطبري أو الواقدي أو البلاذري مثلاً أنما هي تكشف في الواقع عن أسماء المدونين الأوائل، والمدونين التالين لهم.

وعلينا أن ننظر إلى النصوص التي وردتنا في المؤلفات المسندة، خاصة على أنها مجموعة من مصادر مدونة تعود بدورها إلى مصادر أقدم منها. وبهذا الشكل فإن دراستها الدقيقة قد تسمح برسم (شجرات التدوين والتأليف)، كما تسمح التفريعات المتكررة بعد أسماء معينة بتحديد أسماء المؤلفين الأساسيين، وأحيانًا يتضح من هذه النصوص في موضوعات معينة بيان نقل المؤلفين بعضهم عن بعض.

وإذا كانت بعض أخبار التدوين في العصر الراشد مجالاً للشك والتأويل، فإن ثمة خبرًا مؤكدًا فيها على الأقل، هو تسجيل أنساب العرب[١].

فيذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب شكل لجنة ثلاثية من: (أبي عدي بن جبير بن مطعم) أحد مشاهير علماء النسب، و(مخرمة بن نوفل)، و(عقيل بن أبي طالب) بوضع ثبت بأنساب العرب يقوم على أساسه الديوان، فكان أول تدوين تاريخي في تاريخ الإسلام[٢].

ومما لا شك فيه أن ذلك كان الأساس الذي دوِّنت على أساسه الأنساب وأخبارها من بعد باعتباره السجل الرسمي المكتوب. ومعنى ذلك أن علم النسب وما يتصل به من أخبار العرب لم يكن متروكًا لذاكرة النسابين ورواياتهم الشفهية، مع وجود النص الرسمي الذي تتبعه الدولة في دواوينها الرسمية.

تقريبًا، ولم يبق بأيدينا إلا بضع كتب، أو ما اقتبسه المؤرخون منها وأودعوه كتبهم، كالطبري، وابن الأثير، وابن كثير، وغيرهم كثر.

(١) محمد بن صامل العلياني السلمي: منهج كتابة التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ٣٣٠.
(٢) محمد فضل: التاريخ وتطوره، ص ٣٢.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

القرآن الكريم

- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد، عز الدين، (ت ٦٣٠هـ):

١ ـ الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣. ١٩٨٨م.

٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، طهران: المكتبة الإسلامية، د.ت.

- الأزرقي، محمد بن عبد الله، أبو الوليد، (ت ٢٥٠هـ):

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدى الصالح. مكة المكرمة: دار الثقافة، ط٢. ١٤١٧هـ.

- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، (ت ١٥١هـ):

- السيرة النبوية، تحقيق:أحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢. ٢٠٠٩م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت ٢٥٦هـ):

- صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. المنصورة: مكتبة الإيمان. ١٩٩٨م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، أبو العباس، (ت ٧٢٨هـ):

- رسائل وفتاوى شيخ الإسلام في التفسير والحديث والأصول والعقائد والآداب والأحكام، تصحيح: السيد محمد رشيد رضا. القاهرة: مطبعة المنار، ط١. ١٣٤١هـ.

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، أبو الحسن، (ت ٦١٤هـ):

- رحلة بن جبير. بيروت: مكتبة الهلال، ط ٢. ١٩٨٦م.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، جمال الدين، (ت ٥٩٧هـ):

- صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٠م.

- ابن حجر، أحمد بن علي، شهاب الدين، (ت ٨٥٢هـ):

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: طه محمد الزيني. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٣م.

- الخزاعي التلمساني، علي بن محمد، أبو الحسن، (ت ٧٨٩هـ):

- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف

والصنائع والعمالات الشرعية، حققه: أحمد محمد أبو سلامة. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٥ م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ولي الدين، (ت ٨٠٨هـ):

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاتة، وراجعه: سهيل زكار. بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠١م.

- مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار القلم، ط٦. ١٩٨٦م.

- ابن خلكان، أحمد بن محمد، شمس الدين، (ت ٦٨١هـ):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م

- خليفة بن خياط، أبو عمرو بن أبي هبيرة الليثي العصفري، (ت ٢٤٠هـ):

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز، وحكمت كشلي فواز. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١. ١٩٩٥ م.

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت ٢٣٠هـ):

- الطبقات الكبرى، تحقيق وتعليق: حمزة النشرتي وآخرين، القاهرة: المكتبة القيمة، د.ت.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، أبو سعد، (ت ٥٦٢هـ):

- الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ١٩٩٨م.

- السمهودي، علي بن عبد الله، نور الدين، ت ٩١١هـ:

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، باعتناء: خالد عبد الغني محفوظ. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ٢٠٠٦ م.

- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، أبو زيد، (ت ٢٦٢هـ):

- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكة. ١٣٩٩هـ.

- الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس، (ت ٢٧٢هـ):

- أخبار مكة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله دهيش. مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ط١. ١٤٠٧هـ.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، عماد الدين، (ت ٧٧٤هـ):

- البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١. ١٩٣٢م.

- الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع، سليمان بن موسي، (ت ٦٣٤هـ):

- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٨م.
- المرجاني، عبد الله بن عبد الملك، عفيف الدين، (ت بعد ٧٧٠هـ):
- بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، تحقيق: محمد عبد الوهاب فضل. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١. ٢٠٠٢ م.
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت ٤٢١هـ):
- تجارب الأمم، تحقيق: سيد كسروي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ٢٠٠٣م.
- المسعودي، على بن الحسين بن علي، (ت ٣٤٦هـ):
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم: مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ١٩٨٥م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري، (ت ٧١١هـ):
- لسان العرب، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م.
- أبو نعيم الأصفهاني، الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي، (ت ٤٣٠هـ):
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: عبد الله المنشاوي، ومحمد عبد الله الهندي. المنصورة: مكتبة الإيمان، ط ١. ٢٠٠٧ م.
- ابن هشام، محمد بن عبد الملك بن هشام الحميري المعافري البصري، (ت ٢١٣هـ):
- السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل. د. ت.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦هـ):
- معجم الأدباء (المسمى: بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ١٩٩١م.
- معجم البلدان. بيروت: دار صادر. ١٩٧٩م.

ثانيًا- المراجع:

- أحمد أمين:
١. ضحي الإسلام (نشأة العلوم في العصر الأول)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
٢ . فجر الإسلام، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٢. ١٩٧٨م.
- أكرم ضياء العمري (دكتور):

- المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه، وتنظيماته الأولى، السعودية: طبع المجلس العلمي لإحياء التراث، ط ١. ١٩٨٣م.
- حجازي حسن طراوة (دكتور):
- دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي: الراشدين، والأمويين، القاهرة: الجريسي للطباعة، ط١. ٢٠٠٢م.
- حمد الجاسر:
- أشهر رحلات الحج، الرياض: دار الرفاعي، ط١. ١٤٠٢هـ.
- محمود حسن زيني (دكتور):
- أدب الدعوة الإسلامية، مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٢٠هـ.